

الصحراء والسرد في الرواية المعاصرة

أ/ أحمد العايب

جامعة باجي مختار - عنابة - الجزائر -

ملخص الدراسة:

تحدث في هذه الدراسة عن المكان . الصحراء . باعتباره أحد آليات الكتابة السردية لاسيما في السرد المعاصر، حيث أصبحت تجليات الزمان والمكان هي التي تحرك دواليب السرد، ومن ثمة أصبح المكان أحد الشخصيات الرئيسية داخل المثن الحكائي، ولما كان الأمر على هذا النحو كان لزاما علينا أن نسلط الضوء على البيئة الصحراوية داخل العمل الروائي وذلك من خلال الحديث عن مختلف الرؤى التي تعكسها البيئة الصحراوية، كما أننا لا نغفل الحديث في هذه الدراسة عن الأحداث وعلاقتها بالمكان ونبين دور المكان في فهم أحداث الرواية، كما تجدر الإشارة إلى المكان باعتباره صورة فوتوغرافية ترسم لنا الواقع كما هو أو كما يراه الروائي.
الكلمات المفتاحية : الرواية ، السرد ، المكان ، الصحراء ، الدلالة .

Abstract:

In this study we talk about the desert " the place" as one of the mechanisms of the modern narrative writing , where the manifestation of time and place become the motor of the wheel of narration , and the place become a major character within the narrative character and from this we shed light , on the desert environment in the narrative work , through talking about the various aspects that they reflect and we also touch on the events and their relationship to the place and show the role of the place in understanding the events of the novel and giving it an image that depicts the reality as it is or as the novelist sees it

Key words: The novel , narration , the place , the desert.

توطئة: تعدّ الرواية من أهمّ الفنون الأدبية في عصرنا الحالي، وأبرزها التحاما بالواقع الإنساني المعيش، فكانت بذلك الوعاء الذي يستوعب هموم الناس كافة، بنوع من المهارة القائمة على التخيل، مما أكسبها قيمة جمالية تميّزها عن غيرها وعلى هذا الأساس نالت شرف الاهتمام من قبل النقاد والدراسيين، حول طريقة تشكيلها واشتغالها، ولما كان على هذا النحو سعت مختلف الدراسات إلى إبراز أهمية المكان والدور الذي يلعبه في تشكيل البناء المعماري للعمل الروائي، فهو ليس مجرد ترف يكثر به الكاتب سواد الصفحات بل هو ركن أساسي تنبني عليه تضاريس الكتابة الروائية الحديثة، فالمكان بكل أبعاده الواقعية والمتخيلة يرتبط بالجانب الزمني والتاريخي للنص وشخصه لذلك كان بمثابة العتلة الراقعة لسقف العمل الروائي، فمن غير المعقول أن نكتب رواية تجري أحداثها في معزل عن المكان الذي يعد موطن الشخصية المؤثر في سلوكها. لذلك كان لزاما علينا في هذه الدراسة أن نشير إلى تحديد المكان مع إبراز مكانته الرفيعة في بلورة الفعل الروائي، لاسيما الصحراء باعتبارها مجال خصبا للكتابة والإبداع ولعل هذا ما يفسر توجه الأدباء في أعمالهم السردية المعاصرة نحو سرد الصحراء. لاسيما أن "العمل السردى قطعة من الحياة فهو عادة ما يحكى عن شخصية تقوم بأفعال يمكن تصور وقوعها في الواقع المعيش، ومن هنا ظهرت أهمية الوقوف عند الخاصية التي تقول بأن عالم السرد يتشكل نسقا خاصا منفصلا عن عالم التجربة الحية، بما يعني أن المصطلحات المستخدمة في التحليل تتبع بالأساس من عالم السرد بوصفه خطابا لغويا بالدرجة الأولى"¹

2- تحديد المصطلحات:

- **السرد:** إنّ السرد "هو الإطار العام الذي يتشكل به النص الروائي، فمن خلاله تتجسد الشخصيات، والأحداث والرؤى، والمواقف وهو البنيان الذي من خلاله يظهر الهيكل الروائي"² فالسرد هو الكيفية التي يتبعها الراوي لسرد أحداث القصة وخلق عالمه الخاص سواء كان هذا العالم واقعي أو خيالي، لذلك نلّفى جيرار جينيت يعرف السرد بأنه "الفعل الواقعي أو الخيالي الذي ينتج هذا الخطاب، أي واقعة روايتها بالذات"³ فهو عملية سردية بإنتاج خطاب قصصي، هو مصطلح نقدي حديث يعني "نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية"⁴ ثم يضيف سعيد يقطين قائلا "السرد هو فعل لا حدود له. يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية، بيدعه الإنسان أينما وجد وحينما كان"⁵

- **المكان:** يتحدّد المكان بصورة جلييلة في العمل الروائي من خلال الفعل السردى حيث "يعتبر المكان بتمة رئيسية في بناء الرواية، كونه الإطار الذي تتحرك فيه الشخصيات فهو الحاضن الوحيد لمختلف الأحداث، ومنبعها الذي تنطلق منه مما يؤدي إلى تشكيل علاقة حميمة بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه، فالمكان يعكس سلوك الفرد ومشاعره وأحاسيسه وهو الذي طبيعة الشخوص وسماتها"⁶ فالعلاقة بينهما علاقة تأثير وتأثر، على أساس أن المكان بمثابة النافذة التي يعبر من خلالها الكاتب عن دواخل ومكونات الشخصية. إن المكان في سرد الصحراء يمارس على الشخصيات

في غالب الأحيان نوع من القهر والضغط وهذا ما جعله يتسم بالقساوة فالصحراء كفضاء مفتوح توحى بالضمأ المادي والمعنوي وهذا بدوره يفرز ثنائية ضدية وهي الضمأ الذي كان نتاجا للشمس المحرقة التي ألهمت أجسام شخصيات رواية صحراء الضمأ للأخضرين السايح، أما الارتواء فقد انزاح به الروائي وليس معنى آخر تجسده شخصية حيدر الذي يسعى إلى اشباع مختلف رغباته وأهوائه عبر الرحلة التي سنتحدث عنها لاحقا، حتى نوضح أن هذه البيئة الصحراوية التي جرت فيها أحداث الرواية هي عبارة عن مكان معادي بالنسبة للإنسان الجزائري ويبدو هذا جليا في شخصية مصطفى، حيدر، عائشة، أما بالنسبة للغربيين فهو مكان أليف جذاب وسياحي بامتياز، كشخصية سوزان التي كانت طوال الرحلة مستمتعة تلتقط صورا تذكارية، فتوظيف المكان في الرواية لم يكن، اعتباطيا، بل كان متناسقا مع بنيتها الجسدية والنفسية، حيث عمد الروائي إلى تصوير البيئة الصحراوية بمدنها وشوارعها وأزقتها تصويرا دقيقا، وهذا يدل على درايته الواسعة في هذه المناطق، وبالرغم من الصعوبات التي وجهتها الشخصيات إلا أن الصحراء تبقى عروس الجزائر ومكان سياحي جذاب، وعلى هذا الأساس يذهب حسن بحراوي إلى أن "المكان الروائي هو الذي يستقطب جماع اهتمام الكاتب وذلك لأن تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي"⁷ وبهذا يصبح المكان يمارس نوعا من السلطة حتى الكاتب، بحيث يستدعيه في عمله دون تفكير أما شاعر النابلسي فقد عدّ المكان في الرواية "كأي شخصية أخرى، يجب أن يكون عاملا وفعالا وبناء في الرواية، وإلا أصبح كثلة شحمية، لا تضيف إلى الرواية إلا الترهل، ومن هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات الرشيفة دور البطولة وليس عنصر بطلانة"⁸ ولعل هذا ما ذهب إليه شاعر النابلسي يمكن أن يظهر لنا بصورة جلية في العديد من الأعمال الأدبية التي تخص سرد الصحراء وعلى سبيل المثال نذكر أعمال إبراهيم الكوني التي تجري أحداثها في بيئة صحراوية قوامها الأسطورة، كما يمكن القول أن رواية صحراء الضمأ للأخضر بن السايح، ورواية تيميمون لراشد بوجردة يندرجان ضمن هذه الرؤية التي عمد إليها النابلسي، لاسيما أن المكان هو "الإطار الذي تقع فيه الأحداث"⁹ بمعنى أنه الحاضن الأساسي لمجرى الأحداث في أي عمل فني سردي، فالمكان الروائي "لا يظهر في النص السردي بمعزل عن العناصر السردية الأخرى بل أن هناك نوعا من التلاحم والارتباط الصميمي بينه وبين هذه العناصر... ودراسة أي عنصر من هذه العناصر يحتم دراسة المكان أيضا، لاسيما إذا كانت الدراسة شاملة لهذه العناصر"¹⁰ هذا يعني أن المكان تربطه علاقة تكاملية مع عناصر السرد الأخرى ألا وهي الشخصيات والزمن والأحداث، بحيث لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال وهذا ما نشبته لاحقا في النماذج المختارة التي عمد أصحابها إلى تصدير المكان كعنوان لأعمالهم السردية بحيث، أصبح المكان هو الذي يحرك دواليب السرد، فهو بؤرة الحكي ومجرى الأحداث، أما المكان عند غاستون باشلار هو "الذي يرتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها المكان والتي يمكن أن تكون قيمة أجنبية... فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكتف

الوجود في حدود تتسم بالحماية¹¹ ونفهم من خلال هذا الطرح أن المكان الذي يحقق الآمال، يكسب قيمة إيجابية تميزه عن بقية الأماكن الأخرى، لكن الشيء الملفت للانتباه هو كثرة المصطلحات حول ماهية المكان وذلك حسب الثقافة التي يرتوي منها الناقد حيث استخدم عبد المالك مرتاض¹²

مصطلح الحيز، وليس الفضاء الذي يشيع في الكتابات النقدية المعاصرة وحسبه أن مصطلح الفضاء "قاصرا بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل، على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"¹² ثم يستطرد الحديث حول اللبس الحاصل بين هذه المصطلحات فيقول "إذا كان للمكان حدودا تحدّه ونهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود له ولا انتهاء فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضربه كتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل حيث يغتدي الحيز من مشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة: لأي عمل سردي "حكاية خرافة قصة رواية... أن يطرب بمعزل عن الحيز الذي هو من هذا الاعتبار عنصر مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطا عضويا"¹³ نستنتج من هذه الرؤية أن عبد المالك مرتاض قد جعل الحيز معادلا للفضاء كونه ذو مجال واسع يشمل جميع مكونات العمل الروائي كما لا يمكن لأي عمل سردي تجاوزه بدليل "أن مجموع الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون للفضاء وما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة ومتفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جمعيا إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"¹⁴ فالمكان إذا جزء من الفضاء والفضاء لا يكون إلا باجتماع عدّة عناصر وتضافرها كالمكان، الأحداث، الزمان... وبناء على هذا يمكننا النظر إلى المكان بوصفه "شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشيّد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعتبر من مقاصد المؤلف"¹⁵ ولعل هذه الرؤية للمكان المتضافر مع جملة من العناصر الأخرى التي بفضلها تتحدد تضاريس وعناصر العمل الروائي بحيث تتبلور مجمل هذه الآراء النقدية في رواية صحراء الضمأ، وذلك من خلال العديد من الأماكن التي كانت بمثابة الوعاء الذي يحتوي مختلف أحداث الرواية، حيث استخدم لخضر بن السايح في هذه الرواية العديد من الأمكنة وزواج بينها في شكل ثنائيات متعددة على سبيل المثال نذكر ضمن هذا السياق الأماكن المغلقة السيارة، الفندق، المطعم، البيت، الضريح... على كل حال تبدو الأماكن المغلقة "مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف والتوجس، فالأماكن المغلقة ماديا واجتماعيا تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا

بين الرغبات وبين الواقع، وتوحي بالراحة والأمان، وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف¹⁶ والظاهر أن الأماكن المغلقة في رواية صحراء الضمأ كلها أماكن واقعية، فهي تقابل مجموعة أخرى من الأماكن المفتوحة المستمدة من الواقع على سبيل المثال نذكر الشارع، المدينة، الرمال، المهرجان، الصحراء، الطريق، السوق فهذه الأماكن تقابلها أماكن أخرى متخيلة تتمثل في السماء السابعة، الجنة، النار وكأن العمل الروائي يقوم على جملة الثنائيات الضدية التي من شأنها تشكيل و تشييد الفضاء النصي في رواية صحراء الضمأ وفي هذا المقام لا بد أن نقف عند حدود هذه الأماكن ثم، نواصل الحديث بعد ذلك عن المدن الصحراوية التي عمد الأديب إلى ذكرها ووصفها وصفا دقيقا، كأنه يهدف من وراء ذلك إلى إيهام المتلقي بمدى صدق مجريات أحداث الرواية، وفي البداية نذكر نماذج عن الأماكن المغلقة ومن أبرزها الفندق "الذي شكل مكانا للإقامة المؤقتة، كون الشخصيات في رحلة فلا بد لهم من مكان للاستراحة والتخلص من أعباء السفر في هذه الصحراء القاسية وتجسد ذلك من خلال الغرف المجهزة التي أعطيت لكل واحد منهم للاستحمام وتغيير الملابس والنوم خاصة مصطفى كونه كان يعيش حالة نفسية رهيبة... جرننا أحمد المرشد السياحي إلى الفندق أعطانا غرفا لكل واحد غرفة خاصة مجهزة بالمرشدة والحمام"¹⁷ ويقول الراوي في موضع آخر وهو يتحدث عن شخصية من الشخصيات الروائية التي تقيم في الفندق "حيدر لم يمانع وقد رغب في البقاء ليوم آخر، فذخيره لم تنفذ بعد... وهو يعرف حجم الجاليات السياحية التي جاءت من لندن وباريس وألمانيا لتقيم في هذا الفندق وتحضر مهرجان جانان العالمي"¹⁸ ومن خلال هذا المقطع يتضح أن الفندق مكان للالتقاء والتعارف الإنساني حيث يلتقي فيه الناس من مختلف الجنسيات عبر مختلف أنحاء العالم، ونشير أيضا إلى المطعم بوصفه مكان مغلق ورد ذكره في الرواية، فهو من الأماكن التي تترد عليها الشخصيات أثناء الرحلة طلبا للأكل والشرب، حيث يقول الراوي "رافقت حيدر إلى أقرب مطعم فقد شعرت بالجوع، هذا المطعم يا سادتي عبارة عن كوخ من الأعواد والقصب تباع فيه الوجبات الخفيفة التي تقدم على عجل"¹⁹ كما ذكر الراوي البيت في عدة مقاطع سردية حيث يقول "مشينا بضع أمتار وتوقفنا عند بيت طويل عريض متاهة في الكبر، دخلنا حجرة الضيوف وجلست أنا على أريكة من ريش النعام رطبة لينة يغوص الجالس في داخلها... زرابي مطرزة بأشكال تعبر عن الطاسيلي وتضاريس تلك المنطقة، ريش النعام في زوايا البيت، كثرة السجاد المعلق على رفوف الجدران... رائحة البخور والعطر المنبعث من زوايا الغرفة زادها متعة وجمالا"²⁰ حيث نستشف من خلال هذا المقطع السردية دلالتين الأولى نفسية تمثلت في الاسترخاء والثانية جمالية تمثلت في القيم الحضارية والتاريخية، والثقافية التي تجعلك تصرح في سحر جمال البيوت الصحراوية، ذلك أن أهل الصحراء متشبثون بآثارهم التراثي الذي يعكس تضاريس المنطقة إضافة إلى تميزهم بكرم الضيافة، أما الضريح فقد ورد ذكره في المثن الروائي باعتباره مكان مقدس لدى فئة من الناس يقصدونه طلبا للشفاء أو الحظ أو الزواج، وهو بناء لتخليد ذكرى شخص ما، يقول السارد عند وصولهم إلى مدينة الأغواط زيارتهم ضريح التيجاني "شعرنا ونحن ننزع أحذيتنا

وندخل البهو بالأمن والأمان، شعرنا بأرواحنا ترفرف من بين جنوبنا، صلينا ركعتين تيمنا وبركة ثم أخذنا بالدعاء كل واحد على انفراد²¹ هذا المقطع يشير بأن للضريح دلالة روحية تضيء من النفس البشرية الاطمئنان والراحة ففي اعتقاد بعض الشخصيات التي وردت أنه من خلال زيارتها لهذه الأمكنة سوف تستجاب دعواتهم وستحل مشاكلهم وتزول همومهم، ليؤخذ بعد ذلك الضريح دلالة سلبية ويتضح هذا من خلال زيارة ضريح مولاي الحسن في مدينة عين صالح فظاخره يوحى بأنه مكان مقدس وباطنه يوحى بعكس ذلك، يقول الراوي " إلى جانب هذه الغرفة باب يوصل إلى بهو مظلم، تتبعث في أركانها رائحة غريبة من هذا البهو يوجد شيخ في الستين من عمره ... هذا² الرجل قدم من مدينة بشار منذ أربع سنوات يعالج السحر والعقم عند النساء، كما يكتب الحروز والتمايم تتهافت عليه النساء بكثرة²² وكما سبق القول فإن هذا المكان قد اتصف بالتدنييس نظرا لبعض الممارسات كالسحر والشعوذة من أجل الاحتيايل واستغلال ضعف النساء وجهلهم؛ وبالرغم من ذلك تبقى زيارة الأضرحة من معتقلات التي أما فيما يخص الأماكن المفتوحة فقد ورد ذكرها في رواية صحراء الضمأ، بأنواع مختلفة حيث "يوحي المكان المفتوح بالاتساع والتحرر، ولا يخلو الأمر من مشاعر الضيق والخوف لاسيما إذا كان المكان المفتوح في أمكنة الشتات والمنافي والمخيمات ويرتبط المكان المفتوح بالمكان المغلق وارتباطا وثيقا، ولعل حلقة الوصل بينهما هو الإنسان الذي ينطلق من المكان المغلق إلى المكان المفتوح، توافقا مع طبيعته الراغبة دائما في الانطلاق والتحرر، وهذا لا يتوفر إلا في المكان المفتوح²³ ومن بين هذه الأماكن المفتوحة نذكر الشارع الذي عرفه شاعر النابلسي لقوله "احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية وكانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا للمدينة، وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار أشغالهما وتجلياتهما فهو المسار والمصب في آن واحد²⁴ وهنا تبرز أهمية هذا المكان كونه معبرا لمختلف الأمكنة الأخرى في المدينة الواحدة ومثال ذلك قول الراوي.

" اتجهن صوب الشارع المذكور فوجدنا لافتات متعددة لأحزاب مختلفة قال عباس : أكثر من واحد وعشرين حزبا تتنافس في انتخابات 30 ماي 2002 القادمة للتشريعات ووجدنا شعارات مختلفة²⁵ فالظاهر أن هذا المكان منفتح لجميع الشخصيات داخل المثن الروائي حيث جرت فيه العديد من الأحداث لاسيما تلك المتعلقة بأصحاب الأحزاب السياسية، وهم بصدد ممارسة حملاتهم الانتخابية والشارع هنا يضم مختلف فئات المجتمع بحيث يسعى إليهم رجال السياسة بغية دعوتهم لانتخابهم كممثلين لهم، حتى يتمكن من تحقيق مشاريعهم واستلام زمام الأمور وقيادة الشعب وتحقيق السيادة كما ورد ذكر المدينة في رواية صحراء الضمأ بشكل ملفت للانتباه على أساس أن الراوي ذكر العديد من المدن الصحراوية، ربما لأن تجمع بين العديد من المتناقضات فهي "ذلك السحر الأسطوري الكامل في المخيال الجمعي للإنسانية عامة وفي الذاكرة العربية

بشكل خاص، حيث تبرز الصحراء في الوعي، والمخيلة مجمعا للنقائض، منسجمة مع طبيعتها المتقلبة فهي لا تسكن حيناً حتى تثور، ولا ترضى لحظة حتى تغضب، تفرح فيتحول الكون إلى مسرح شعري رائع، وتغضب فيكون في غضبها الهلاك والشقاء²⁶ حيث استطاع لخضر بن السايح من خلال ابداعه الفني التحكم في أمكنة الرواية وجعلها تتماشى وسيرورة الأحداث، لذلك نجد تعدد المدن الصحراوية في " نصه الروائي .

- مدينة جانت : "تعتبر هذه المدينة عروس الصحراء لأنها تتربع على مساحات شاسعة من الكثبان الرملية، وتحتوي على الكثير من أشجار النخيل هذا الذي أصغر عليها ميزة جمالية كبرى ففرها يقام مهرجان الأغنية التاريخية، الذي يضم مجموعة من الرجال والنساء والفرسان والإبل والأطفال، كما نجد أيضاً التوارق يرقصون بالسيف والخناجر حيث تتعالى الأصوات تحت أهازيج الأغاني ويتهاقف الجميع على هذا المهرجان"²⁷ "مدينة عين صالح مدينة الرمال والتمور والنخيل، وتعتبر أيضاً مدينة الأولياء الصالحين فهي كما قيل تحتوي سبع وسبعين ولياً صالحاً، بين فترة وفترة يقيمون وعدة مع أحد أوليائها الصالحي، وعلى ضفاف هذه المدينة توجد القبة الخضراء مزار" مولاي لحسن "وهنا نلمس كرم الناس وسخائهم في اكرام الزوار بالأكل والماء والشرب"²⁸
- مدينة ورقلة : "تميزت هذه بنخيلها وعمرانها واتساعها،"ها هي سبخة الملح تلمع كالمرجان"³²⁹ وتختلف عن بقية مدن الصحراء في شوارعها الطويلة المكتظة بالسكان وعماراتها التي تحاول أن تعانق السماء، وبالتالي تعد مركزاً عمرانياً هاماً .
- مدينة غرداية: تقع في واد بين جبلين شامخين يتوسطهما شارع طويل يبدأ من بلدية "ضاية بن ضخوة" حتى العطف، وتعتبر مدينة غرداية جوهرة الواحات حيث تضم مجموعة من الدوائر والبلديات من بينها دائرة زلفانة التي يوجد بها حمام الصالحين مركباً للاستشفاء والعلاج"³⁰
- مدينة الأغواط: "تعتبر الأغواط عاصمة الأرباع، قبيلة من القبائل العربية الأصلية"³¹ ومن صفات أهلها الكرم والسخاء والطيبة والأنفة كما نجد لهجتهم في أغلبها عربية فصيحة بالإضافة إلى أن هذه المدينة كانت منشأً للناصر بين شهرة رجل المقاومة والتضحية ... ومعقل للامام "أحمد بن شطة" والشيخ العربي تبسي "وغيره كثيرون.. وموطن الزاوية، التيجانية التي نشرت الاسلام عبر ربوع افريقيا ..وهنا الأرباع الأشم قبيلة الأنفة والشهامة والمعزة"³²

ويشير الراوي إلى منطقة حاسي الرمل المنطقة الصناعية، فهي تزخر بآبار الغاز والبتترول، كما يوجد في هذه المنطقة أكبر احتياطي في الغاز الطبيعي ما يجعل الجزائر في مصاف الدول الكبرى من حيث تصدير المادة الخام كما يطلق حاسي الرمل اسم مدينة بلبل فسكانها من عرش الحجاج وهو بطن من بطون الأرباع³³

- مدينة عين ماضي: "يوجد في هذه المدينة معقل الزاوية التيجانية "كوردان" حيث يذهب الناس إليها طلبا للشفاء أو يصفها لنا الراوي بقوله " ما هو المزار في وسطه قبة كروية الشكل تحيط به أرضة يتوسط⁴ القبة شجرة خضراء وارفة الظل مشبعة برائحة العطر والبخور وهو المناخ الذي ترعرع فيه"³⁴

- مدينة تيارت: هنا معقل الدولة الرستمية وموطن القمح الجزائري، لكن في السنوات الأخيرة كان للجفاف الأثر الكبير، وتتميز مدينة تيارت بكثرة المرتفعات والمنخفضات³⁵.

- كما تحدث الراوي عن الكتبان الرملية أثناء رحلة الشاقة واحساسه بنعومة الرمال وبرودتها ويظهر هذا في قوله " أنا انبطحت خارج الخيمة على تلك الرمال الرطبة ونمت"³⁶ وتحدث الراوي أيضا عن لهب الشمس الحارقة والسراب الناتج عن الانعكاس الكلي الداخلي والسرب يظنه الضمان ماء ويقول الراوي "ما زال السراب يتلأأ من بعيد كأنه البحر"³⁷ ثم يضيفه كأنه ألماس، وأنه بريق نادع يغري بتبعه اللامنتهي فهو من أكثر الظواهر الطبيعية انتشار في الصحاري وأجملها ومن أهم العناصر التي تشكل الصورة الفنية ومن مميزات الجمالية للصحاري. "في صحراء الضمأ رحلة طويلة بالسيارة تبدأ من أقصى الجنوب إلى الغرب الجزائري معسكر أحداث الرواية مع مصطفى الرجل الكريم يشتغل موظفا في الدولة يشرف على السياحة مفتشا عاما. وقد عهدناه مرحا مولعا بالطبيعة مفتونا بها، يحب النخيل يعانق أشجارها ويسهم في غرسها "تبدأ الرحلة حينما التقى مصطفى مع اينزام الرجل الأزرق التارقي ويزداد طول الطريق ويزداد معها الأرق والتعب والحر من شدة لهب الشمس المشتعل حتى يطلبون من حيدر عبد السلام بعض الوقت للاستراحة ومن خلال حديث الراوي عن هذه الأماكن بشتى أنواعها نلاحظ أن أحداث القصة تدور في بيئة صحراوية تقوم على المروحة بين القحط والقهر والحسن والجمال، فتبدو تارة بيئة قاسية ومتعبة و لاسيما حديث الراوي عن معاناته وهو يهيم في هذه البيئة الصحراوية، لكن هذا لا ينفي رونق هذه البيئة الذي كان سببا في مجيء الزوار إليها من مختلف بقاع العالم، وهذه الرؤية تتجسد في شخصية سوزان الانجليزية، وفضلا عما سبق ذكره نجد الراوي يفصح عن البعد الايديولوجي لهذه البيئة الصحراوية بطريقة غير مباشرة، بحيث نلاحظ في بداية الأمر تلك التناقضات الموجودة في هذه الأماكن الصحراوية حيث أننا نجد بعض الأماكن ترمز إلى الجهل والفسق ناهيك عن انتشار مختلف أنواع الرذيلة والبغاء، في حين يمنح الراوي هذه البيئة الصحراوية بعدا رمزيا آخر يتمثل في الجود والكرم وحسن الضيافة ونبل الأخلاق وجمال المنظر الذي يستهوي السياح

ويستقطب الأجانب، حيث نجد الشخص في هذه الرواية مشحونة بأبعاد اديولوجية متعددة، ومن أبرز هذه الشخصيات حيدر العالم بدروب الصحراء، وانزام الرجل التارقي المعتر بعروبته وأصله، أما الطيب فهو شخصية متدينة، أما سعيد فهو أمازيغي الأصل جاء إله منطقة التوارق في إطار حملة للم الشمل الأمازيغي ومن الشخصيات الأجنبية نجد شخصية سوزان الانجليزية، كما الراوي عن شخصية عبد الجليل باعتباره رجل هادئ ودبلوماسي في تصرفاته، يحمل في نفسه القوة والثقة وكان يشتغل معلما في إحدى المدارس النائية، كما تحدث الراوي عن شخصية أخرى كان لها دور كبير في دفع الأحداث الروائية نحو التطور والنمو بشكل ارتبط بدوافع السلوك والفترة الإنسانية وهذه الشخصية، ونقصد هنا بالتحديد شخصية تامت المرأة التارقية كما تحدث، الراوي عن شخصية عائشة التي تعيش في مدينة تيارت وتشتغل في عين صالح عند شيخ مشعود بسبب فقرها المتع، كما تظهر شخصية سارة زوجة مصطفى شخصية مؤمنة وشريفة تعمل مرشدة وخبيرة في السياحة تقيم في معسكر، فهذه الشخصيات كان لها حضور قوي أثر في سيرورة الأحداث الروائية وأعرب عن مختلف التناقضات الموجودة في هذه البيئة الصحراوية، كما أمكن لهذه الشخصيات أن تعبر عن مختلف الأبعاد الثقافية والادولوجية السائدة في الصحراء الجزائرية، بحيث أمكن لهذه الشخصيات أن تكشف لنا عن البعد التاريخي الموصول بالحاضر ضمن حبكة مسبوكية يراوح صاحبها بين الحياة في البادية والمدنية، بدليل أن الروي يخبرنا تارة عن بساطة الحياة في الصحراء، لينقلنا تارة أخرى إلى أجواء حضارية لا تختلف عن ما هو مودود في الشمال الجزائري، ففي غالب الأحيان وفي مختلف سرود الصحراء نجد دلالات رمزية لهذه البيئة معروفة كالفقر والقحط الحر، موت الزمان، التيه والضياح، الهدوء والتأمل، الاتساع واللانهائية، كما أنها مصدر لجماليات نادرة والذي أزاح عنها مطلقية الموت هو اكتشاف البترول ومختلف الثروات الطبيعية، ولعل هذا ما يقلل من الاندفاع في معاداتها بوصفها مجالا قابلا للاستثمار الاقتصادي وتحقيق الأرباح الأمر الذي جعل غالب هالسا يقول "إنه مكان مؤلف الرواية وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال"³⁸.

ونفهم من خلال ما ذهب إليه غالب هالسا أن الأديب على دراية تامة بالمكان لأنه كان يعيش فيه، ليعيد نسجه وفق عمل فني قوامه الخيال، ولما كان الأمر على هذا النحو من الطبيعي جدا أن يعكس المكان اديولوجيا المؤلف والبعد الحضاري الذي عايشه وها هنا نورد قول الراوي الذي يصور اللباس الصحراوي باعتباره مظهر من مظاهر الحضارية فيقول "يلبس لباسا أزرق وسروالا واسعا منتقخا في أوسطه سروال عربي الأصل"³⁹ ثم يضيف الراوي قائلا "هاهم بنوا مزاب بملابسهم الفضفاضة وقبعاتهم البيضاء"⁴⁰ كما تحدث الراوي عن المساجد، والخيمة التي ترمز للأصالة والكرم والتشبث بالأرض، وهذا في حقيقة الأمر يعكس العديد من الأبعاد الثقافية والحضارية، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أهمية المكان في بناء العمل الروائي، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في مطلق الأحوال لأنه المجال الذي تسبح فيه الشخصية بالدرجة الأولى والمنفذ الوحيد الذي نعرف من خلاله بشكل كبير هواجس الشخصية وما تعانیه من أزمت

نفسية وعواطف متوترة، تعكس عمق الأزمة التي تعيشها الشخصية حيث، نلاحظ أن المكان هو الذي يؤثر في الشخوص ومجريات الحكى في غالب الأحيان بدليل أن الراوي يقدم لنا شخصية مصطفى الرجل الكريم الذي قدر عليه أن يعيش في زمن غريب بعيدا عن أهله في صحراء مقفرة الأمر الذي جعله لا يشعر بالاطمئنان وولد في نفسه مختلف حالات الشك حتى أنه فكر في قتل زوجته وفي هذه البيئة الصحراوية التي ترمز للغربة والضياع يعيش مصطفى تحت ضغط هواجسه النفسية بسبب ابتلاع الصحراء له كما يمكن القول أن الكاتب وظف المكان بشكل مميز تجلت جمالياته عبر دلالات عديدة مما أعطى لتقنيات السرد عبر ضلالات عديدة مما أعطى لتقنيات السرد تماسكا وحضورا قويا، وبهذا يصبح المكان صورة عاكسة للفضاء الفكري الذي تدور في فلكه الأحداث والشخصيات لذلك نجد الأخضر بن السايح فيتخذ من الصحراء رمزا ودلالة سياسية واجتماعية ودينية وتاريخية تعكس واقع الانسان العربي، كما لا يفوتنا في هذا المقال أن نتحدث عن رواية رشيد بوجدرة الموسومة "بتيميمون" حيث، نلاحظ أن عنوان الرواية كان حاضرا في معظم أجزاء النص فالرواية بأكملها تمثل عالم الصحراء ،حيث تصوّر رحلة واقعية تخيلية في صحراء مليئة بالمغامرات تتميز بشاعيتها، ومن جهة أخرى صوّرت لنا الرواية مختلف جبال الصحراء كما صورت لنا، من جهة أخرى الأمن والأمان مقابل لغة الموت المبتوثة في كل شارع من شوارع الشمال الأمر الذي جعل الراوي يستقر في الصحراء، وذلك بمثابة الهروب من الواقع الأليم الموجود في الشمال الجزائري.

حيث الأحزاب السياسية المتناحرة والحركات الدينية المتطرفة التي كانت سببا في سفك دماء الأبرياء وتشرد الشعب وانتشار الفقر ومختلف الأمراض الاجتماعية بسبب ذلك الصراع الذي طال ليله في الشمال الجزائري بحيث ظل يحترق من قبل الجماعات الإرهابية التي تطمح لتحقيق الحكم والسيادة تحت قناع الدين، الأمر الذي جعل الراوي يتوجه إلى تلك البيئة الصحراوية ليعيش الألم بمفرده حيث ننمى ألم الراوي من خلال الفضاء الهام للرواية "رواية تميمون رحلة مزدوجة في الزمان والمكان يقوم الراوي وهو ابن الأربعين بالعودة بنا عبر ذكرياته وهواجسه إلى أيام طفولته ومراهقته حيث ترسم أمامنا، عقدة نفسية التي خلفت فيه مستديما ونزعة الانتحار لا تفارقه، يعاني الراوي من عقدة الأب فاتر العاطفة تجاه أولاده وماكر مع زوجته الطيبة حدّ السذاجة، يتأصل في الراوي منذ الطفولة خوف من الأب كما تتأصل فيه خوف من الأب وعقدة من الجنس الآخر، كما لموت أخيه الأكبر جرح عميق في نفسه مما ولد له ميول الانتحار"³⁹

أما الرحلة بالنسبة للمكان فهي التنقل من أقصى الصحراء التي أقصاها تبدأ الرحلة ليلا الطريق الذي يربط بين المنيعه وتيميمون، وتنتهي بنفس المسار في طريق العودة من تيميمون إلى المنيعه ، غير أن هذه الرحلة مخالفة لمثيلاتها حيث تعرف الراوي على الفتاة صراء ووقع في حبها رغم نفوره من النساء، تدور الرواية كلها في صحراء المفتوحة غير أن وصول الأخبار عبر المدياع من أحداث دموية في الشمال تعزز مآسي الراوي الذي قصد الصحراء لا هربا منها، بل ليعيشها، حيث يعتبر الصحراء المكان الأنسب للألم والموت، حيث كان يقوم بالرحلات في تلك البيئة الصحراوية التي تسودها الرتابة والعممية، ولما ظهرت شخصية صراء

حدث أثناء المسار المشار إليه تطور مهم ميّزه هذه المرة عن الرحلات السابقة وجود فتاة في العشرين من عمرها ضمن زبائنه السياح، تجلس وراؤه مباشرة، هذا الوجه الحاضر بقوة هو عيلة الرواية كلها، فهذا الحدث هو المفسر للأحداث المستعادة على مدار الرحلة لأنه حرك وجدان الراوي، وهذا مؤشر على تيار الوعي وتداعي مختلف الأحاسيس والسبب في عودته إلى الماضي عن طريق فعل التذكر المتمثل في تحفظه نحو الطرف الآخر، الأمر الذي دفعه نسيان باقي الزبائن "وبالرغم من هيمنة الشخصية الساردة على اللغة الروائية إلى أنها أفلتت من الأحادية إلى التعدد اللغوي، وذلك بإدراج الأخبار الصحفية في عناوين بالخط العريض الذكريات التي أرهقت سائق الحافلة وملأته بالكآبة وأثارت فيه الرغبة في شرب الفودكا" ⁴⁰ ونفهم من هذا القول أن هناك تنوع في الخطاب السردي المبتوث في رواية تيميمون، حيث نجد خطاب الصحافة يرد كما هو خاصة التوثيق في حين نرى الراوي يتميز بالتنوع اللغوي على الرغم من نبرته الأحادية فهو يفسر حاضره على ضوء ماضيه بسبب النزعة الانتحارية التي كان يعاني منها أخاه الأكبر وهذا ما حدث فعلا عندما حاول ركوب الترامواي هو في أوج سرعته، ناهيك عن نظرتة الضيقة إلى المرأة، وكدليل على ما نقول نورد هذا المقطع السردي على لسان الراوي الذي يسعى إلى تفسير موقفه "لعل هذا الموقف من النساء بدأ يوم وفاة أخي الأكبر كان يراهن بحياته على الطريق البهلوانية. احترفت فيما بعد قيادة الطائرات العسكرية وحاولت كل جهد من خلال المناورات البهلوانية التي كنت أقوم بها على متن الميق 21، أن أسقط الطائرة وأنتحر وأنتهي هكذا وأتخلص من هذا العمر اللعين أردت أن أقتل أخي فأموت انتحارا مثله، لكن لم أجرؤ على ذلك". ⁴¹ وفي هذه الرواية نلاحظ أن قساوة البيئة الصحراوية تنعكس على شخصية الراوي بشكل متناغم ومنسجم مع مختلف عواطفه وآلامه، بدليل ما ورد في هذا المقطع السردي "أما الحواس التي تقرأ الخارج على ضوء الداخل، حيث تبدو الصحراء نفسها معدلا موضوعيا لنفسية الشخصية، وهي الفكرة فالصحراء ليلا عبارة عن تضليل رهيب، في الصحراء يفقد الانسان احساسه بالواقع" ⁴² ثم يستطرد الراوي الحديث عن آلامه الشديد فيقول "وفي الصحراء تعلمت اللوعة والأوجاع، وفيها كدت أموت بردا وقساوة لأنني اخترت أن آتي إليها أن أسوح الناس فيها وأن أتعلم معنى الألم والوجع... لم أجد مكانا أفضل في العالم كله يمثل هذه الأحاسيس السلبية" ⁴³ من خلال قول الراوي نلاحظ أن الصحراء باعتبارها مكانا معاديا للشخصية البطلة كان لها دورا كبيرا في دفع سيرورة الأحداث نحو التأزم والعقدة، ومن هنا تظهر لنا تجليات المكان وهيمنته على مسار الحكى وارتباطه بالحبكة ارتباطا وثيقا، ناهيك عن تأثيره السلبي على الراوي "فأوصاف الصحراء تولد لدى الانسان احساس بالانقطاع عن الواقع والولوج إلى عالم أحلام اليقظة من فرط جمالها، لكن ما يشد البطل إليها يختلف عما يجذب السواح اختلافا كبيرا فهو يدرك تماما أن وراء روعتها الخيالية قسوة في المناخ الذي يقتل من شدة البرد أو الحر، وأخطارا محدقة من كل جانب" ⁴⁴ والشيء الملاحظ على هذه الرواية هو أنها شديدة الالتصاق بالواقع، فهي ذات نزعة وجودية ترصد مرحلة زمنية عصيبة ومحنة مرت بها الجزائر الأمر يدفعنا إلى القول "إن الصحراء تمثل العلاقة القائمة بين اللغة الأدبية والمجازية

ودلالات الواقع فهي فضاء السورة المكانية عبر التشكيل الأسلوبي والسرد اللغوي، لأن الدلالة الرمزية في هذه الرواية تكتسي طابعا وجوديا بالدرجة الأولى وهي من نتاج الواقع السياسي الذي يعيشه البطل، والوجودية بهذا الشكل التعبيري هي رفض للواقع لكل تمظهراته الاجتماعية والسياسية وتقدم لمحة على مدى تعقد بنية هذا المجتمع الذي أصبح يدعو إلى الهروب والانتحار⁴⁵ لذلك نلغي البطل يعي جيدا ما يحتاجه من الصحراء فهو إن كان يستمتع بجمالها الطبيعي.

5

ويسهب في وصفها لا ينسى أنه يعيشها لممارسة الموت على طريقته، ولا يجد راحته إلا حين يلفحه لهيبها وتتحت من لحمه ودمه حيث يقول "قررت أن تكون الصحراء طريقة الموت والانتحار التي تتخر جسمي وتجرح بشرتي وتحرق جفوني وتلهب صدري من فرط جفاف الجو"⁴⁶ وفي هذه الرواية يعمد رشيد بوجدره إلى اتخاذ الصحراء رمزا يحمل العديد من الدلالات السياسية الاجتماعية... التي تعكس الراهن المعاش وآلام الشعب الذي تعبر عنه شخصية البطل فمن خلال صدى الصحراء يبدو لنا المكان نابض ومتفاعل ليس فقط مجرد للأحداث فالصحراء ذلك المكان الشبه بلوحة فنية تضم جبالا وتضاريس لا مثيل لها في شكل متناسق ومتناغم يبهز كل من يراها "وهي مكان يقترن في البنية الذهنية بالكائن من بحزمة من الدلالات الإيجابية والسلبية وتتحصر هذه الدلالات في جانبها السلبي بالفقر والقحط والجذب والرغبة والخوف والتهيب والضياع وموت الزمان والإيهام والمخادعة والحر الشديد والبداءة والتخلف، وفي جانبها الإيجابي توحى بالاتساع والرحابة القسوى الأبدية واللانهائية والسكينة والهدوء والتأمل"² حيث نلمس في رواية صحراء الضمأ العديد من الأماكن التي تحمل دلالة إيجابية وأخرى سلبية على سبيل المثال نورد مقاله الراوي في هذا المقطع السردية "هنا في الجنوب الكبير لا تعرف صباحا أو مساء، عصرا أو مغربا، لا تميز الوقت وتبقى العملية ثنائية، ليل بظلامه وشدة سواده، نهار بأشعة الشمس المحرقة"⁴⁸ ويقول الراوي في موضع آخر "كان اليوم يوم الأربعاء من شهر جويلية، الوقت بين العصر والمغرب حسب ما أذكر مناخ قاتل حار هنا في الصحراء، جفاف ضرب أفريقيا بحالها، سنين عجاف، لا ماء فيها ولا كلاً، سبل الرزق ذاقت الإختلاس والسرقه واللصوصية والمتاجرة بالممنوعات"³ وعلى هذا الأساس يمكن القول أن رواية صحراء الضمأ ورواية تميمون ينجلي فيهما الحضور القوي لسلبية الصحراء التي انعكست قساوتها على أبطال الروايتين، مما يدل على صعوبة الواقع الجزائري لأنه في حقيقة الأمر، يمكن اعتبار الشخصية البطلة في بعدها الحضاري الايديولوجي عبارة عن انعكاس مكثف لواقع شعب يعيش تحت وطأة الألم والمعاناة، ولعل هذا ما يبرر لجوء الأدباء إلى الاشتغال على سرد الصحراء الذي يصبح المكان في ظل شخصية رئيسة تمثل بؤرة الحكمة، بحيث تقع فيها جميع أحداث الفعل الروائي حتى أننا نخيل إلينا أن المكان هو الذي يمثل الحبكة

الروائية، ونذكر هنا على سبيل المثال الطريق المكان المفتوح في رواية صحراء الضمأ في بعده الواقعي
يمنحنا دلالة رمزية مفادها معاناة الشخصية.⁷⁶

وحتى نؤكد ما نذهب إليه تجدر الإشارة إلى ما قاله الراوي وهو بصدد وصف الطريق الذي جعله يشعر
بالتعب الشديد جراء تلك الألوان الرمادية والمساحات الشاسعة حيث يقول الراوي في هذا الصدد "يزداد طول
الطريق، ويزداد معها الأرق والتعب، كل شيء رمادي داكن يزداد الحر... تبدو على حافة الطريق بقايا
سلاسل جبلية قديمة تتخللها مساحات شاسعة تغطيها الكتبان الرملية أرض خالية"⁴⁹ ولعل هذا ما يفسر
إقامة مهرجان الأغنية التارقية الذي نميز بأن فيه نوع من الترويح على النفس المتألمة، حيث تقام احتفالات
عديدة ضمن مساحات واسعة "فتتعالى الأصوات تحت أهانج الأغاني نساء ورجال، وفرسان وإبل وفرسان
تملاً ساحة تلك الرمال الذهبية إينزام فانداس في وسط التوارق الي تتراقص بالسيف والخناجر"⁵⁰ يبدو من
خلال هذا المهرجان أن الشخصية يعترها جو من الفرح والحماس الذي فيه إشارة إلى عادات وتقاليد مجتمع
التارقي ممثلاً في الأغاني وطريقة الرقص واللباس وغيرها ومن ثمة تظهر مختلف الأبعاد الثقافية والحضارية
وهذا المجتمع الذي نراه لا يمتثل لأوامر الشريعة الإسلامية، كما نلاحظ وجود العديد من الأماكن التخيلية
في رواية صحراء الضمأ، تجسدت من خلال شخصية مصطفى الذي يبحث عن الخلاص والملاذ الذي
يمكنه أن يضع حد لآلامه حيث يقول ضمن هذا السياق أعلى، أعلى، أعلى، والحسان يسبح به من سماء إلى
سماء حتى وصل به إلى السماء السابعة، هنا وجد أمماً غفيرة من البشر لا تعد ولا تحصى، يوم مهيب
فضيع، يوم تذهل المرضعة عما أرضعت"⁵¹ يبدو أن مصطفى زار في منامه السماء السابعة التي تشير
إلى البعد العقائدي لدى شخصية مصطفى الذي تجرد من واقعه المعاش واتجه صوب اللاواقع حيث ذكر
العديد من هذه الأماكن التخيلية وأهمها الجنة والنار كمحاولة للهروب والتخلص من واقعه المرعب، وكان ذلك
تبعاً لحالته النفسية التي وصلت به إلى حد الجنون ورغبته الملحة في الانتحار وشكوكه المرتبطة بأهله
حيث كان يسعى اقتفاء أثر زوجته سارة وكان يتمنى أن يجدها في جهنم لتتبد أمانيه ويجدها تنتعم في الجنة
في شكل حورية، ولما كان الأمر على هذا النحو إذ لعب المكان دور المحرك الرئيس للأحداث سواء كان
هذا المكان واقعي أو خيالي حيث أضحى الأدب المعاصر يهتم بالمكان أيما اهتمام حتى أضحى المكان
لسرد الصحراء يتصدر عناوين الأعمال الروائية التي تكشف تناقض المجتمع وزيفه وخضوعه أمام كل
جائر ورفض النضال لتغيير واقعه الأليم وفي نفس الوقت نجد كل فرد من أفراد هذا المجتمع يغمس في
مختلف أنواع الرذيلة، وهذا يعني ما جعل سرد الصحراء ينحو منحاً آخر مغاير تماماً لمكانة سائد قديماً
وأصبح الأديب في ظل الراهن المعاش يفكر في المكان الذي تجري فيه الأحداث قبل الشخوص.⁸

"إذا نحينا جانبا القص والشخص، فإن المكان يظل قائما يستمد أهميته من كون أن الكاتب يهتم ببناء فضائه قبل شروعه لسرد الرواية بمعنى آخر أنه لا يفعل الحكيم إلا بواسطة بساط الفضاء الذي يقدمه"⁵² ومن خلال هذا التصور الذي يقدمه ميشل رايمون يصبح المكان "يتصدر ووجهة السرد لكونه تجلي في بؤرة تشع منه أنساق المادة الروائية"⁵² كما أننا بهذا المقام لا نغفل الحديث عن إبراهيم الكوني الذي اشتغل على سرد الصحراء في العديد من روايته "حيث يهء المكان "الصحراء" ليوظف الأسطورة كمادة قصاصية تقوم على مكوناتها الرواية بكل تفاصيلها فيعمل إلى إعادة ترجمة العوالم الأسطورية و إحياء شخص و كائنات مخبوءة للعجائب فيها طبيعة مكانية يسوقها السرد لتصل إلى قناعة مفادها أن لاشيء فيها خارج الأسطورة فالمكان باستقلاليته الذهنية عن الأسطورة من جهة وحضوره في السرد داخلها من جهة أخرى يلزم السياق بتقديمه كواحد من مكونات المرو في الحكاية"⁵³ أما في صلاة الغائب وواو الصورة نجد شخص الرواية "تحركهم ذاكرة جمعية مضطربة، هذا البحث عن الأصول وعن أبعاد الماضي مدونا كذلك في المكان لدى يمكننا ملاحظة ميزة تطابق هاتين الروايتين في ارتيادهما لأمكنة أسطورية مقدسة متواصلة مع الماضي، في حين كان استدعاء الأمكنة الحديثة بشكل شبه عابر حيث المدينة، الواحة، الجنوب، الصحراء، المكان الذي تتوجه إليه الشخصيات الرئيسية كان دوما منبع التخاطر الروحي، لقد كان دور العاطفي والدين الكبير لبلورة ذلك المكان الذي استخدم من أجل قيام عالم دنيوي ويصبح هو العزاء الأخير مقابل حتمية الخلود أو الفناء"⁵⁴ وصفوة القول هو أن المكان في سرد الصحراء لم يعد كما في الماضي حيث أصبح الآن المكان يتصدر عناوين الروايات، بل يتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك على أساس أن الأحداث كلها تنمو وتتطور حتى تنتهي الحكاية وسط بيئة صحراوية مشحونة بالعديد من الثقافات والأبعاد الحضارية المشبعة بالاديولوجيا، صف إلى هذا كله أصبحت البيئة الصحراوية تزخر بالعديد من المقومات التي تجعلها لا تختلف كثيرا عن بيئة الشمال لذلك أصبحت بمثابة المعين الأول الذي يستقي منه الأديب أفكاره ومادته الحكائية.

الهوامش:

- 1- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني . دراسة أدبية . الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص 33- 34 .
- 2- علا سعيد حسان، نظرية الرواية العربية في النص الثاني من القرن العشرين، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014، ص 49.
- 3- جبرار جنيت، عودة إلى الخطاب الحكائية، ثر: محمد معتمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب .، ط1 2000، ص 13.
- 4- أمينة يوسف تقنيات السرد الروائي في بنیان والتطبيق، المؤسسة العربية والنشر بيروت، ط2 2005، ص32.
- 5- سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 19 .
- 6- نغلة أحمد العزي، تقنيات السرد، والليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2010، ص105
- 7- حسن بحراري بنية الشكل الروائي الفضاء. الزمن الشخصية . المركز الثقافي العربي الدار البيضاء بيروت . ط1، 1990، ص29
- 8- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان . الأردن، ط1، 1994، ص 10،

- 9- سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ . الهيئة العامة للكتاب . مصر . ط1 1984، ص 106.
- 10-- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 196.
- 11- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: هالسا المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان . ط2 1984، ص 31.
- 12- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية . بحث في تقنية السرد . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د ط 1998، ص 121.
- 13- المرجع نفسه، ص 125.
- 14- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقص الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 2000، ص 63، 4 حسن 15 بحرلوي، بنية الشكل الروائي، ص 32.
- 16 حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص 134 ،
- 17- الأخضر بن السايح، رواية صحراء الضمأ، دار التتوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 40 . 41
- 18 المصدر نفسه، ص 38 . 39.
- 19 المصدر نفسه، ص 25.
- 20 المصدر نفسه، ص 63.
- 21 لخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 168
- 22 المصدر نفسه، ص 94 . 95
- 23 حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات، مركزاوغاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007، ص 166 ،
- 24 شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 65 ،
- 25 لخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 163.
- 26 المصدر نفسه، ص 25.
- 27 المصدر نفسه، ص 140
- 28 المصدر نفسه، ص 163
- 29 المصدر نفسه، ص 195.
- 30 المصدر نفسه، ص 166.
- 31 لخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 168.
- 32 المصدر نفسه، ص 168.
- 33 المصدر نفسه، ص 168.
- 34 المصدر نفسه، ص 127.
- 35 المصدر نفسه، ص 16.
- 36 صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني . جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص 97
- 37 الأخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 133
- 38 المصدر نفسه، ص 154.
- 39 سامية إدريس: تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية، دراسة في علم اجتماع النص الأدبي، ط1 منشورات الاختلاف . الجزائر . 2015. ص: 102
- 40 المرجع نفسه، ص 104.
- 41 رشيد بوجدر، تميمون، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط1، 2002، ص 89.
- 42 المصدر نفسه، ص 89.
- 43 المصدر نفسه، ص 47.
- 44 سامية إدريس، تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية، ص 109.
- 45 المرجع نفسه، ص 109
- 47 فيصل غازي النعيمي، العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية أرض السواد لعبد الرحمان منيف دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، ط 2010 ، ص: 154.
- 48 لخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 69.
- 49 المصدر نفسه، ص 10.
- 50 لخضر بن السايح، صحراء الضمأ، ص 11 . 12
- 51 المصدر نفسه، ص 12.
- 52 المصدر نفسه، ص 120.

- 53 خالد بن المحجوب، رواية الصحراء، صحراء الرواية، دراسة مقارنة بين صلاة الغائب للطاهر بن جلون، وواو الصغرى إبراهيم الكوني، 54، مجلة شمال جنوب، العدد السابع يونيو 2016، ص 11.
- 54- خالد محمد المحجوب، دراسة مقارنة بين صلاة الغائب للطاهر بن جلون و-واو الصغرى لإبراهيم الكوني، مجلة شمال جنوب، جامعة مصراتة، العدد السابع يونيو 2016، ص 11.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

- 1- الأخضر بن السايح، رواية صحراء الضمأ، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص 11.
- 2- رشيد بوجدر، تميمون، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، ط2، 2002، ص 11.

ب- المراجع :

- 1- أيم بكر، السرد في مقامات الهداني. دراسة أدبية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1998، ص 33-34.
- 2- علا سعيد حسان، نظرية الرواية العربية في النص الثاني من القرن العشرين، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014، ص 49.
- 3- جبرار جنيت، عودة إلى الخطاب الحكائي، ثر: محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 13.
- 4- أمينة يوسف تقنيات السرد الروائي في بنیان والتطبيق، المؤسسة العربية والنشر بيروت، ط2، 2005، ص 32.
- 5- سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997، ص 19.
- 6- نفلة أحمد العزي، تقنيات السرد واليات تشكيله الفني، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2010، ص 11.
- 7- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء. الزمن الشخصية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990، ص 29.
- 8- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان. الأردن، ط1، 1994، ص 10.
- 9- سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ. الهيئة العامة للكتاب. مصر. ط1، 1984، ص 106.
- 10- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، ص 196.
- 11- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: هالسا المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان. ط2، 1984، ص 31.
- 12- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية. بحث في تقنية السرد. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت د ط 1998، ص 121.
- 13- المرجع نفسه، ص 125.
- 14- حميد لميداني، بنية النص السردية من منظور النقض الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، لبنان، ط3، 2000، ص 63، 4 حسن 15 بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 32.
- 16- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص 134.
- 17- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، ص 166.
- 18- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 65.
- 19- صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني. جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 97.
- 20- سامية إدريس: تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية، دراسة في علم اجتماع النص الأدبي، ط1 منشورات الاختلاف. الجزائر. 2015. ص: 102.
- 21- المرجع نفسه، ص 10.
- 22- خالد محمد المحجوب، دراسة مقارنة بين صلاة الغائب للطاهر بن جلون و-واو الصغرى لإبراهيم الكوني، مجلة شمال جنوب، جامعة مصراتة، العدد السابع يونيو 2016، ص 11.